ملخص خطبة الجمعة

بتاريخ ٢٧ فبراير ٢٠٢٦

بعد التعوذ و التشهد وتلاوة سورة الفاتحة تناول حضرته موضوعًا محوريًا هو :الكيفية الكاملة التي جسّد بها سيدنا محمد ﷺ إقامة التوحيد الخالص، مبيّنًا أن رسالته لم تكن مجرد دعوة نظرية إلى وحدانية الله، بل مشروعًا إصلاحيًا شاملًا أحدث انقلابًا روحيًا وأخلاقيًا في العالم.

الرسالة المشتركة للأنبياء وإفراد النبي ﷺ بالكمال في التوحيد

استهلّ حضرته الخطبة ببيان حقيقة قرآنية أساسية، وهي أن جميع الأنبياء بُعثوا لإقامة توحيد الله بين أقوامهم، إلا أن كثيرًا من الناس انحرفوا بعدهم نحو الشرك. غير أن مقام النبي محمد ﷺ في هذا الباب كان فريدًا لا يُضاهى؛ إذ لم يقتصر على النهي عن الشرك، بل عرض براهين عقلية وروحية على بطلانه، وكشف أضراره، وربّى في القلوب نفورًا حقيقيًا منه. وقد تحقق ذلك بفضل التعليم القرآني الكامل المؤثر الذي أُنزل عليه، حتى إن من فهمه حق الفهم لا يمكنه أن يرده.

وبيّن حضرته أن سرّ تأثير تعاليم الإسلام هو أن النبي ﷺ كان صورة حية لها؛ فحياته العملية كانت شرحًا للقرآن. كما كان شديد الحرص على ألا يُغالى فيه كما غالت أمم سابقة في أنبيائها، فكان يوجّه الناس دائمًا إلى الله وحده، ويحذّر من أن يُجعل شريكًا مع الله بأي صورة من الصور.

التوحيد في القرآن الكريم

استعرض حضرته جملة من الآيات التي تؤكد مركزية التوحيد، منها قوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾

ثم أعلن سبحانه وتعالى وحدانيته في نهاية القرآن الكريم قائلا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

وأوضح حضرته أن هذه الآيات ليست مجرد نصوص تُتلى، بل إعلان عالمي دائم، كُلّف به النبي ﷺ وأمته من بعده، لتصحيح ما دخل على الأديان السابقة من تحريف. ومن يعمل بهذا الإعلان بصدق يبلغ القرب الإلهي، وأكمل نموذج لذلك هو رسول الله ﷺ الذي أفنى عمره في تثبيت هذا المبدأ.

الفطرة التوحيدية للنبي ﷺ منذ الطفولة

انتقل حضرته إلى عرض شواهد من طفولة النبي ﷺ، تدل على أن الله تولّى تربيته على النفور من الشرك. فقد كان يرفض المشاركة في عبادات قريش لأصنامهم، ومنها صنم ‘‘بُوانة’’ الذي كانت قريش تعظّمه. وعندما أُلحّ عليه ليحضر، عاد مذعورًا بعد أن رأى في طريقه ما منعه من الاقتراب، ومنذ ذلك اليوم لم يشارك في تلك الطقوس. كما أشار حضرته إلى حادثة لقائه بالراهب بحيرا في صغره، حيث أظهر كراهية صريحة للات والعزى. وكذلك في شبابه حين طُلب منه أن يحلف بهما في تجارة، فأبى وقال إنه لم يحلف بهما قط، بل كان يعرض عنهما إذا مرّ بهما. وهذه المواقف تدل على صفاء فطرته واستعدادها لحمل أعظم رسالة توحيد.

غار حراء وبداية التحول العالمي

ثم بيّن حضرته أن النبي ﷺ كان يتحنّث في غار حراء طلبًا للحق، حتى نزل عليه الوحي في سن الأربعين، فبدأ عهد جديد في تاريخ الإنسانية، كان جوهره تعريف العالم بحقيقة الإله الواحد.

ونقل حضرته أقوال **ميرزا غلام أحمد عليه السلام، الذي وصف الأثر الانقلابي لرسالة النبي ﷺ؛ إذ حوّل قومًا غارقين في الوثنية والجهل إلى أمة موحِّدة قدّمت من التضحيات والثبات ما لم تُقدّمه أمة لنبي قبلها. فقد انتقلوا من حياة أشبه بالوحشية إلى الحضارة، ومن الحضارة إلى العلم، ثم من العلم إلى معرفة الله، حتى صاروا يفدونه بأرواحهم دون تردد. ومن هذه الزاوية كان النبي ﷺ بمنزلة ‘‘آدم ثانٍ’’ في بعث الحياة الروحية.

وبيّن حضرته أن الإسلام قدّم مفهوم التوحيد بأكمل صورة عرفها التاريخ، وهو أمر مؤسف أن يفرّط فيه بعض المسلمين اليوم. ومن هنا تقع مسؤولية خاصة على أتباع المسيح الموعود في إحياء هذا التعليم ونشره، ولا سيما في شهر رمضان الذي هو شهر التزكية والدعاء.

البدء بالأقربين: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾

تطرّق حضرته إلى تفسير الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ كما شرحه ميرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه، مبينًا أن الرسالة عالمية، لكن الإصلاح يبدأ من الدائرة الأقرب. فوقف النبي ﷺ على جبل الصفا، ونادى بطون قريش، وسألهم إن كانوا يصدقونه لو أخبرهم بجيش خلف الجبل، فأقروا بصدقه. عندها أعلن رسالته، فكان الرد سخريةً واستهزاءً، إلا أنه لم يتراجع.

شدة المعارضة وأسبابها

استشهد حضرته بما كتبه ميرزا بشير أحمد رضي الله عنه في كتابه ‘‘سيرة خاتم النبيين ﷺ’’، مبينًا أن عِظَم الرسالة استلزم عِظَم المعارضة؛ فقريش كانت غارقة في تعظيم الأصنام، وقد ملأوا الكعبة بها، وجعلوا مصالحهم ومكانتهم مرتبطة بها. فجاء الإسلام يعلن أن السجود لا يكون إلا لله، وأن تلك الأصنام لا تضر ولا تنفع، بل وصفها القرآن بأنها وقود جهنم، فاشتد غضبهم.

وأشار حضرته إلى ما ذكره المسيح الموعود عليه السلام من أن علماء الأديان الأخرى أيضًا وقفوا موقف العداء الشديد، فتعرض المسلمون لثلاثة عشر عامًا من التعذيب الشنيع، حتى سُحبت النساء والأطفال في الطرقات وقُطّع بعضهم، ومع ذلك أُمروا بالصبر وعدم الرد، فثبتوا على التوحيد.

البعد الأخلاقي والاجتماعي للتوحيد

أوضح حضرته أن النبي ﷺ لم يكتفِ ببيان عجز الأصنام، بل قدّم بديلًا عمليًا: الإيمان بإله يسمع الدعاء ويجيب، ويهب النور والهداية. كما بيّن أن عبادة الله الحقة تقتضي أداء حقوق العباد؛ فالمال يُنفق في خدمة المحتاجين، والنساء يُعاملن بكرامة، واليتامى والأرامل تُصان حقوقهم، ويكون العدل مقرونًا بالرحمة والإحسان. فهذه السمات هي علامة الموحد الصادق.

الثبات أمام الإغراء والتهديد

وختم حضرته بذكر موقف عظيم من ثبات النبي ﷺ؛ إذ عرضت قريش عبر عمه أن تمنحه المال والجاه مقابل أن يكفّ عن ذمّ أصنامهم، ولو مع استمراره في دعوة التوحيد. فلما نُقل إليه العرض، قال كلمته الخالدة مؤكدًا أنه لو وُضعت الشمس في يمينه والقمر في يساره ما ترك هذا الأمر. وهكذا قدّم أسمى نموذج في الإخلاص والثبات.

الخلاصة

أكد حضرته أن إقامة التوحيد ليست حدثًا تاريخيًا، بل مسؤولية مستمرة. فإذا كنا ندّعي محبة النبي ﷺ فعلينا أن نسير على خطاه في إخلاص العبادة، ونشر رسالة الإله الواحد، وتحقيق ثورة أخلاقية في أنفسنا ومجتمعاتنا. وفي رمضان بخاصة ينبغي مضاعفة الجهد والدعاء لتحقيق هذا المقصد، حتى نكون من الموحدين حقًا، الذين جمعوا بين صفاء العقيدة وسموّ العمل.